الملاحم

١١

سلسلة

شهداء الجزيرة

سيرة الشهيد

البتار الجنوبي

تركي بن سعد بن قليص الشهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما أتذكره.. ترتسم لي صورة الصدق والوفاء.. عندما يطيف بي خياله.. أستشعر كم هو عظيم هذا الدين ليصنع من البسطاء أروع قصص التاريخ؛ فقط لأنهم عاشوا بدينهم وبذلوا له كل ما يملكون..

أولئك الذين يعيشون الغيب كالشهادة.. الذين يستيقنون بما وراء الحجب والأستار ويعيشون معها وكأنهم يتقلبون فيها بإحساسهم وذواتهم .. أولئك الذين رأوا العزة تحت ظلال السيوف.. ورأوا أن الكرامة في نضح الدماء من الرقاب في سبيل الله من أجل دين الله ولإعزاز أمة الإسلام..

هؤلاء يتشرف قلمي بالكتابة عنهم وتسويد الصفحات بتاريخهم.. عفواً لا ليس تاريخهم؛ إنه تاريخ أمتهم ومجدها.. إنهم مفخرتنا عندما تفتخر الأمم.. إنهم رصيدنا الباقي في زمن رخصت فيه قيم الناس وتبذلت أخلاقهم وانسلخت وعجزت هممهم أن تصل إلى أكثر من شهوات بطونهم وفروجهم..

إنهم شباب كالورد بل أنظر منه، وكالبدر وأسطع منه، كالسماء المرتفعة في علو همتهم، كالأرض الواسعة في سعة إدراك عقولهم، إنهم امتداد لأجدادهم الذين التفوا حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في زمن الغربة والبلاء والمحنة .. و قد عاد الإسلام غريباً فطوبى للغرباء..

إنهم عظماء بدينهم.. عظماء ببذلهم.. عظماء بثباتهم.. عظماء وإن صغرت أعمارهم.. وإن نحلت أجسادهم.. وإن غُمرت سيرهم.. عظماء مع بساطتهم وتواضعهم..

يكفي أنهم زاد الأمة وذخيرتها الحية في مواجهة قوى الباطل.. يكفي أنهم تمردوا على الظلم وخرجوا عن سلطانه.. يكفي أنهم ماتوا وهم قابضون على دينهم كالقابض على جمر الغضى..

أكتب عنهم وأكتب، وأرجو من الله ألا أكون مجرد كاتب يسرد قصصا أو يروي أحاديث؛ فيكون كجسر يعبر عليه الناس ثم يسقط هو في الوحل..

اللهم إني أحب أولئك الأبطال وأتولاهم وأناصرهم؛ فاحشرني في زمرتهم وفي ركبهم، ولا تحرمني الشهادة بكثرة ذنوبي وعظم خطاياي..

الشهيد "بتار الجنوبي" تركي بن سعد آل قليص الشهراني - رحمه الله

تركي بن سعد آل قليص الشهراني.. تلك البطولة النادرة والبذل العجيب والتضحية الباهرة.. الصدق والوفاء والرحمة والشفقة.. روح الإيمان وثمرة العقيدة –ولا أزكي أحداً على الله– ..

بين أزقة حي قمبر بخميس مشيط عاش وترعرع.. في وقت كان لا يميزه عن أقرانه إلا قوة جسده وشدة جلده وشجاعته المفرطة.. ومع كل هذا كان يحمل قلباً رقيقاً وعاطفة جياشة متدفقة لا توصف.. يحدثني عن سنين صغره فيقول: "كنت أشاهد في التلفاز مآسي المسلمين في فلسطين فلا أتمالك نفسي وأبكي حتى يسمع من حولي نشيجي ونحيبي"..

مضت به الأيام ولم تطل رحلة اللهو والعبث حتى هداه الله للالتزام ووفقه للصحبة الصالحة التي تدله على الخير وتعينه عليه.. فكان من أمره العجب؛ أقبل على نفسه فسعى في تزكيتها واجتهد في تأديبها.. وكنت أتعجب من روحانيته العالية وقوة يقينه وسرعة استجابته لداعي الحق وحادي الهدى.. وكنت أحتقر نفسي وألومها وأراجعها عندما أرى

الدموع تسح من عينيه وتنهمر عند أي موعظة أو تذكرة.. وكنت أغبطه على قلبه الخاشع المخبت ..

مضت الأيام وكنت ألحظ عليه حبه الشديد للجهاد والمجاهدين حتى اختار لنفسه أن يدعى بأبي خطاب.. كما أن صفات كثيرة من الله بها عليه هي صفات المقاتل المتميز.. جسارة قلب.. وقوة جسد.. وفطنة فطرية.. وروحانيات عالية.. عطف.. ورحمة.. ونجدة.. وفداء.. حتى كان يقول لي أحدهم: "والله ما أظن تركي ينفع إلا أن يكون مجاهداً في شعاف الجبال" فقلت له: "ولماذا تقول ذلك؟" قال: "لقد فتح الله عليه في أمور كثيرة تؤهله ليكون مقاتلاً يجاهد في سبيل الله" ثم تحدث عن عبادته فقال: "يا أخي صاحبته زمناً طويلاً فما عرفته يترك صيام داوود" ، كل ذلك مع بساطة شديدة في كل شيء.

كنت أزوده ببعض ما يصدر عن المجاهدين في الجبهات.. ولم أكن أتحدث معه كثيراً، فقد كنت أطمع ألا يكون حبه للجهاد بدافع عاطفي أكثر من كونه عقيدة وفكراً ومنهجاً..

فرقتنا الدنيا بصروفها وأحوالها.. ثم التقيت به بعد سنوات.. فرأيته وقد أنار الله بصيرته فعرف حقيقة واقع الأمة.. وعلم سر الداء والدواء، وأيقن أن الجهاد يجب أن يستوعب في مواجهته كل أولئك الذين يقفون في طريقه فينابذهم ويقاتلهم عن عقيدة ودين.. رأيته قد استبصر بحال حكام البلاد وأنهم عقبة كؤود وحجر عثرة أمام أي مشروع جهادي لتحرير الأمة من احتلال أعدائها الصليبيين.. رأيته وقد استوعب حقيقة الولاء والبراء ومارس ذلك معتقداً ويقيناً.. رأيته يتحدث برؤية أوسع ومن منطلق أرحب.. فسررت أيما سرور..

حدثني في تلك الليلة عن العمليات الاستشهادية ومدى تأثيرها على أعداء الله وأنها سلاح استراتيجي في مواجهة قوى الباطل المتغطرسة التي لا نملك ما يوازي فتك أسلحتها ترسانتها المتطورة.. ثم على سجيته و بلهجته البسيطة قال: "والله لئن وفقني الله لعملية استشهادية أني ســـ(أمكنها) في أعداء الله" .

القول سهل باللسان وإنما — بالفعل يمتحن الفتى ويصنف

فَقِهَ عقيدة الولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعرف وجوب الجهاد في هذا الزمن فلم يفتر عن الدعوة إلى الله والتبصير بواجبات العصر المتحتمة و في مسيرته أشهد أنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، وأنه كان أسمى وأرفع من كل من قد ينال منه في ذات الله، وكان أكثر شفقة وحباً لإخوانه الذين يصر على أن يبين لهم التصور الصحيح والطريقة الناجعة لتغيير الواقع المرير لأمة الإسلام، وكان يطوف ويزور من يستطيع من أهل العلم والفضل فيبين لهم فكرة المجاهدين ومنهجهم وطريقتهم كل هذا على بساطته وقلة علمه.

حاول عدة مرات أن يلتحق بركب المجاهدين في الجبهات ولم يوفق لذلك.. حتى وفقه الله للارتباط مع المجاهدين في اليمن وبقي لعدة أشهر مطارداً في "مملكة آل سعود" يتخفى عن الأنظار حتى وفقه الله لعبور الحدود والوصول إلى طليعة المجاهدين في اليمن.. فكان من أمره ما كان من هجرة وجهاد.. واختار أن يدعى بـــ"البتار" تيمناً وتبركاً بلقب الشيخ يوسف العييري رحمه الله.

تنقل رحمه الله بين صعدة والجوف ومأرب، فأعجب بخلقه وبساطته وخدمته ووفائه وكرمه وحفاوته كل من عرفه..

وإني لأتذكر في يوم من الأيام وكان "البتار" قد حل ضيفاً كريماً على الشيخ الحاج "سعيد بن خرصان" رحمه الله -أحد أعيان قبيلة الجدعان بمأرب- فأعجب به الشيخ ومع الخلطة والمعاشرة أحبه حباً عظيماً حتى كان يعده كأحد أبنائه، وبعد قرابة الشهر انتقل البتار لضرورة العمل إلى صعدة، فقال الشيخ "بن خرصان" عندما زرناه معاتباً: "لماذا أخذتم علي البتار أعيدوه إلي فقد افتقدته كثيراً" ..

وللشيخ سعيد رحمه الله قصص عظيمة في النصرة والبذل والفداء وله شفقة كبيرة على المجاهدين رحمه الله ولعله يتيسر مقام آخر نتحدث فيه عن سيرة الشيخ ومآثره..

الشهيد "البتار الجنوبي" تركي بن سعد الشهراني وفي الإطار الشيخ الشهيد سعيد بن خرصان -رحمهما الله

وفي أرض الجهاد تلقى البتار دورات متعددة أساسية وتكتيكية وأخذ في المتفجرات وغيرها.. ثم التحق بمجموعة القائد الشهيد "محمد الراشد" وبدأ الترتيب والعمل معه.. وكان رحمه الله متفانياً لدرجة كبيرة، يصر على خوض الغمرات وتقحم الصعاب بيقين جازم وتوكل مطلق..

وفي إحدى ليالي رمضان المبارك انفجرت قنبلة في مجموعة من المجاهدين فقتلت عددا منهم وأصابت آخرين كان منهم البتار الذي أصابته شظية فوق قلبه.. لم يطل به الحال حتى شفاه الله وعافاه بمنه وفضله، وكان من كرم الله تعالى له أن الشظية نزلت من صدره واختفت ولم يعرف الأطباء أين ذهبت.

انتقل رحمه الله بعد أن تماثل للشفاء إلى معسكر الفتح بأبين، وتلقى فيه العديد من الدورات تحت إشراف الشهيد أبي همام القحطاني رحمه الله..

أصيب بعدها في قصف أمريكي على أبين، وكان يقص لي كيف تلبدت السماء بغيوم من القنابل العنقودية التي ألقت بها طائرات الصليبيين، وكيف تحولت الأرض إلى نار وشظايا،

وكنت أتذكر حينها حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- "كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة".

كانت إصابته في فخذيه فقام على عيادته وتطبيبه الأخ الشهيد "مختار القصيمي" أحمد الجاسر رحمه الله..

الشهيدان مختار القصيمي و البتار الجنوبي - رحمهما الله

تماثل بفضل الله للشفاء بعد أشهر من العلاج.. ثم انتقل إلى مأرب فكلف بإدارة بعض الأمور الإعلامية هناك من توثيق للعمليات وغير ذلك..

ثم وقع عليه الاختيار مع كوكبة من الأبطال -الذين قضى أكثرهم شهداء- وتم تكليفهم بعملية كبيرة.. وانتدب "البتار" أميراً عليهم.. فكان نعم الأمير ونعم القائد الشفيق الرحيم..

قال لي الشيخ قاسم الريمي: "اخترته أميراً عليهم لشدة رحمته بإخوانه"، واختصر لي عدد من صفات البتار فقال: "شجاع رحيم شفيق قريب الدمعة كثير الدعاء والتعلق بالله".

مضوا إلى حيث سبيلهم.. وبحكمة من الله لا نعلمها تعرقلت عمليتهم بعد أن وصلوا إلى مراحل متقدمة.. وتاهوا في الصحراء أياماً وليالي وأشرفوا على الهلاك.. إلا أن الله حفظهم

ورعاهم وأكرمهم فعادوا مرة أخرى إلى إخوانهم.. فاستقبلوهم بالدموع وكانت قصتهم أشبه بخيال يسطر منها إلى حقيقة واقعة..

عادوا بهمة أكبر وعزم أشد ومرة أخرى بدأ مع مجموعته بالترتيب للوصول إلى هدفهم.. وقد عرفته يطيل السفر ويشد الرحال لينسق ويرتب ويعد ما يستطيع من الأسباب..

وجد القنوط إلى الرجال سبيله وإليك لم يجد القنوط سبيلا

ولرب فرد في سمو فعاله وعلوه خلقاً يعادل جيلا

انتقل مع بعض المهاجرين إلى ولاية البيضاء؛ فأحبه كل من عرفه هناك وتأثروا بخلقه وبتفانيه وخدمته ونجدته وشجاعته وكرمه.. وكلف البتار بإدارة بعض الأمور العسكرية فرأيته لا يفتر عن رصد الأهداف والتربص.. وكان كثير الحركة والعمل يتحرك في وضح النهار بين عسكر الطاغوت وجنوده لا يخشى إلا الله وحده هذا مع أن الطلب عليه قد اشتد حتى علقت صوره على مفترق الطرق وفي تجمعات الناس؛ ومع ذلك كان يسير ويتجول تحت صوره المعلقة وكله استهتار بما يعده أعداء الله من إجراءات لحرب المجاهدين..

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

إذا هم لم تُردع عزيمة همه ولم يأت ما ياتي من الأمر هائبا

بقي على ذلك حتى قدم إلى البيضاء القائد موحد المأربي فكان البتار له كالساعد الأيمن.. بعدها بفترة قصيرة انتقل البتار من البيضاء لضرورة العمل فاشتد حزن فراقه على القائد موحد رحمه الله..

انتقل البتار إلى شبوة وكان غالب وقته هو ومجموعته يتواجدون في المعسكر برفقة المدرب أبي عبد الرحمن التونسي رحمه الله والذي تلقوا على يديه عدداً من الدورات في المهارات الفردية والدفاع عن النفس..

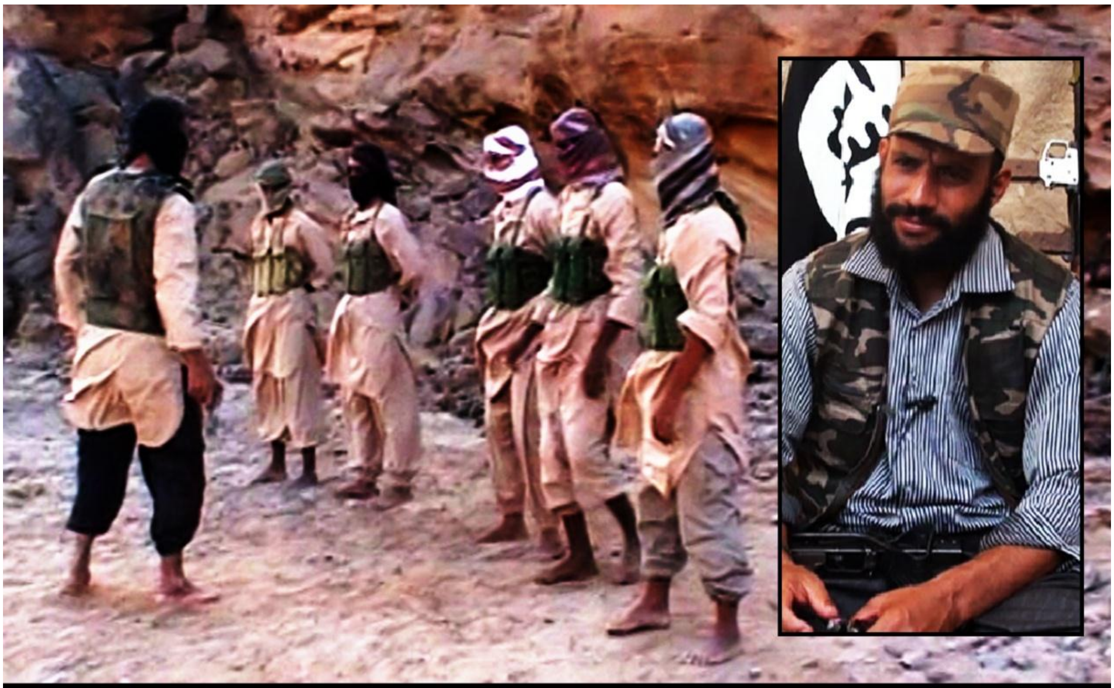

مجموعة الشهيد البتار في دورة لياقة و دفاع عن النفس مع المدرب أبي عبد الرحمن التونسي صورة المدرب في الاطار

على إيقاع الثورة اليمنية انتقل البتار إلى أبين حيث تدور رحى الحرب بين أولياء الله وأولياء أمريكا.. وبشوق إلى الله وحب للقائه.. قرر أن يتطوع لعملية استشهادية ضد اللواء 25 ميكا .. ذلك اللواء الذي أجرم في حق المسلمين في أبين أشد ما يكون الإجرام.. وتحالف وتعاون مع أمريكا أشد ما يكون التعاون والتواطؤ؛ حتى كانت الطائرات الأمريكية تنزل له المواد التموينية والذخائر العسكرية من السماء..

جهزت السيارة المصفحة وحشاها المتخصصون بما يفتت الصخر من الصواريخ والقنابل التي لم تنفجر جراء قصف الطائرات الأمريكية و اليمنية والسعودية.. وشركوها وجهزوها..

الشهيد "البتار الجنوبي" تركي بن سعد الشهراني يشير إلى المدرعة المفخخة

امتطى البطل راحلة الموت .. وكانت الخطة أن يتم الهجوم من عدة محاور ثم ينغمس في اللواء بسيارته وينفذ عمليته البطولية.. إلا أن قيادة المجاهدين في الجبهة وكان على رأسهم القائد حمزة الزنجباري وإبراهيم النجدي وموحد المآربي ومسفر الجوفي رأوا أن العملية لن تكون ذات جدوى تستحق التضحية بمجاهد استشهادي.. فقرروا أن تلغى العملية.. حينها انفجر "البتار" باكياً حزناً أنه ما نال مقصده..

إن لحظة البكاء هذه من أعجب اللحظات التي لا يستوعبها إلا من يتفهم نفسية هذا الطراز الفريد من الاستشهاديين .. أولئك الذين ترتقي قلوبهم حتى تستيقن بالغيب وكأنه جزء من المحسوس.. أولئك الذين لهم مع ربهم علاقة أخرى غير التي تعرفها قلوب أهل الدنيا والمتاع؛ علاقة البيع والشراء مع من لا أوفى منه بالوعد والعهد.. الله الذي قال: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة :111]

ألغيت العملية وما لان عزم البتار ولا ضعف.. ما فترت همته ولا تضعضعت .. فتطوع مرة أخرى لعملية استشهادية في عدن..

كنت نائم قبلها بيومين ورأيت البتار وكأنه يظهر على قناة العربية في لقطات دعائية سينمائية تعرض ببطء وهو يغسل وجهه في الهواء الطلق..

في صورة وضاءة جميلة، وكنت في منامي أستغرب أن تعرض قناة العربية مثل هذا المقطع الدعائي.. ولما استيقظت من منامي وقع في قلبي أنه سينفذ عملية يتناولها الإعلام ويبرزها..

وفعلاً انقض الأسد المغوار على طليعة لواء عسكري كان يتأهب للهجوم على المجاهدين في أبين.. في مشهد نادر ومثير.. فدمر عددا من دباباتهم وآلياتهم وأعمل فيهم مقتلة كبيرة فكفى الله المؤمنين شرهم وعادوا خائبين خاسرين لم ينالوا خيراً.. وفاز البتار بإذن الله بما تمنى وطلب..

الحملة العسكرية التي انغمس البتار فيها بسيارته المفخخة في المنصورة بعدن

إن مشهد تنفيذه للعملية لم يكن ليمر علي كما يمر على غيري.. لقد بقيت كلماته التي قالها لي قبل سنوات تتردد في أذني؛ يوم أن قال: "والله لئن وفقني الله لعملية استشهادية أني ســـ(أمكنها) في أعداء الله".

وإني لأحسب أن هذه الكلمات لم تكن رخيصة ليطير بها الهواء فتتلاشى وتختفي.. لقد كانت أفعالاً تهتز لها الأرض وتتزلزل.. وعندما رأيت تصوير عمليته الاستشهادية علمت أن بين هذا الرجل وبين خالقه علاقة صدق وإخلاص استحقت هذه الكرامة -أحسبه كذلك ولا أزكي أحداً على الله- ولقد رأيت هذا البيت لا يصدق إلا فيه وأمثاله:

وفارسٍ في غمار الموت منغمسٍ إذا تألى على مكروهةٍ صدقا

صورة التفجير

وبعد: فما كانت سيرهم قصص تتلى على مسامع السمار ليتسلوا بها.. ولا معزوفات يترنم بها في مسامع الأجيال حتى يغطوا في نومهم العميق..

إنها قصة المجد التي تحيي القلوب ومجد القصص التي يتشرف بها تاريخنا.. إنها سيرة تدعو شباب الأمة -كل شبابها- للمساهمة في كتابة تاريخ أمتهم بالدماء والتضحيات والبذل.. إنها سيرة حية حتى وإن قتل صاحبها.. إنها تنادي بملء فيها: أين الأبطال المشمرون والفرسان أولي العزمات؟.. أين أهل الهمم الذين يطلبون الموت بأيديهم لتوهب لأمتهم الحياة؟

رحم الله البتار ورفعه في منازل الشهداء الذين يضحك الله منهم؛ "الذين لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا" والحمد لله رب العالمين.